فوق السحاب

لماذا لا تستطيع الطيران؟ كان يسألني الجميع هذا السؤال ولكن لا أملك إجابة، جميع إخوتي تعلموا ذلك منذ زمن طويل، ولكني كلما حاولت أسقط سريعاً داخل العش، كنت أرى فى عيون البعض نظرة اشفاق والبعض استهزاء، والبعض الآخر لا يكتفي بالنظرات ويسخر مني بأقسى الكلمات.

كان الجميع يغادرون مبكرين وأبقى وحيداً حتى المساء، كنت أنتظر عودتهم بفارغ الصبر؛ ليس لأنهم يحضرون الطعام لي، بل لأستمع لقصصهم عن ذلك العالم الذى يشاهدونه من أعلى، فيروا الأرض على طبيعتها، فقط جبال، بحار، أنهار، لا يظهر في هذه الصورة الجميلة هؤلاء البشر الذين ما أن يقتربوا منهم حتى يشعروا معهم بالخطر.

وكنت استمع لحلمهم ذلك الحلم بأن يحلقوا عالياً فوق السحاب على ذلك الارتفاع الذي لا يصل إليه إلا عدد قليل من الطيور المهرة، لم استطع أن أبوح لهم بأني أشاركهم هذا الحلم؛ فكيف ذلك وأنا لا أستطيع حتى مغادرة العش، فقط كنت أعيش هذا الحلم فى خيالي ولا أُدرك سبيلاً لتحقيقه.

أشرقت الشمس معلنة ليوم جديد، لكنه لم يكن بالنسبة لي كأي يوم؛ فقد غادر الجميع صباحاً ولم يعُد أحد منهم حتى المساء انتظرتهم حتى اليوم التالى، لكن لا أحد، ربما أصبحت حِملاً ثقيلاً عليهم وقد قرروا أن يتركوني حتى بدون كلمة وداع. لم يكن أمامي غير محاولة الطيران مرة أخرى، فإن بقيت هكذا سأموت جوعاً، لقد سقطت ولكن على الأقل أصبحت خارج العش، لأول مرة تلمس قدماي الأرض. وبدأت أبحث عن طعام فوجدت قطعة خبز كبيرة حاولت كسرها، ولكن كان الأمر صعباً، فرأيت يد إنسان تمتد نحوي فتراجعت خوفاً، ولكني اكتشفت أنه أراد فقط كسرها لي ثم انصرف، كان ذلك أول درس تعلمته وحدي أن ليس جميع البشر سيئين، فمنهم من يحمل قلوباً صافية نقية.

مرت أيام طويلة كنت أقضي معظم الوقت في محاولاتي الفاشلة للطيران، وفي إحداها وجدت نفسي أطير عالياً لا أعلم كيف حدث هذا فقد كانت مثل جميع المحاولات السابقة لم أفعل شيئاً جديداً، أخيراً رأيت هذا العالم من أعلى وقد كان مشهداً مذهلاً.

مرت ساعات طويلة ومازلت أطير كنت أخشى الهبوط فماذا إن لم استطع الطيران مرة أخرى، ولكن قد حل الظلام ولا مفر من العودة للعش.

عدت فوجدت الجميع بانتظاري وفي وجوههم ابتسامة علمت منها أنهم لم يكونوا ليتخلوا عني وأن ما فعلوه كان من أجلي، شعرت حينها بأنه قد عادت لي سعادتي وإن كانت لن تكتمل حتى أحقق حلمي، ذلك الحلم بأن أحلق عالياً فوق السحاب.